البيمارستانات الطبية في العصر العباسي

مدينة بغداد - أنموذجاً -

علاء كاظم سبتي

Mob; 07700138488

Alaakadhim538@gmail.com

البيمارستانات الطبية في العصر العباسي مدينة بغداد – أنموذجاً –

علاء كاظم سبتي

الملخص:

الطب علم متطور مرتبط بالكشف والتحري عن الجديد متصلاً بحياة الإنسان بصورة مباشرة، والطبيب المؤمن الذي يجمع ما بين العلم والخلق الإنساني[١]، ويبحث عن الأسباب والنتائج فالطبيب مرتبط ارتباطاً وثيقا بحياة الإنسان وأكد ذلك قول دكتور ج . دوهاميل : (أن معرفة الإنسان وطبيعة البشر لا تتم بتعامل على سرير المريض، بل نعايشهم ونراهم في حياتهم يعانون الحب والطموح..). [٢]

ونظراً للدور الريادي الذي يؤديه الطب حرص الإسلام على صحة الفرد ووقاية المجتمع بشكل عام ان الاتجاه إلى علم الطب والصحة العامة أمر لازم المجتمع الإسلامي ودعا اليه الإسلام.

Medical bimaristans in the Abbasid era

The city of Baghdad - a model

Medicine is an advanced science linked to the discovery and investigation of new things directly connected to human life, and the believing doctor who combines science and human character (and searches for causes and results, the doctor is closely linked to human life. This was confirmed by the words of Dr. J. Duhamel: (Knowing man and nature Humans do not deal with patients at the bedside, but rather we live with them and see them in their lives suffering from love and ambition.

In view of the pioneering role played by medicine, Islam is keen on the health of the individual and the protection of society in general.

The trend towards the science of medicine and public health is necessary for the Islamic commune.

المقدمة:

الطب من العلوم العلمية التي رافقت تطور الإنسان منذ القدم ، ويعد من أشرف الصنائع وأربح البضائع ، وورد في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية ، وعليه جعل علم الأبدان مرافقا لعلم الأديان وقد قالت الحكماء أن المطالب نوعان خير ولذة وهذان الشيئان يتم حصولهما للإنسان بوجود الصحة.

فعمل الأطباء على تطور دراسة علم الطب واكتشاف الحقائق العلمية التي كانت مجهولة وإضافة حقائق علمية جديدة للمعرفة بكل فروعها في التشريح وعلاج الأمراض وأساليب التشخيص والعلاج بالأدوية والأغذية، ويرجع الفضل في التقدم بصناعة الطب إلى اتساع الثقافة والاتصال بين الحضارات الأخرى.

فالأطباء يمثلون الامتداد الطبيعي والشواهد الحية على تجليات مسيرة التاريخ الإسلامي أذ كانت مساهماتهم فعالة في أبراز المجتمع كمجتمع إسلامي متحضر يتمتع باللياقة الصحية ويستوحي قيمه ومبادئه من القران الكريم والسنة النبوية امتثالا لقوله تعالى (وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ).[٣]

والأساس الذي احتوى الأطباء هو المؤسسة الطبية التي تمثلت البيمارستانات التي تعتبر النواة الأولى لتأهيل الأطباء وزجهم في المجتمع الإسلامي على نحو خاص.

اعتمد هذا البحث على مجموعة من المصادر لدراسة حياة ومؤلفات الأطباء في العصر العباسي منها كتب تراجم الرجال وأعظم هذه الكتب وأوفرها نصيباً كتاب: (عيون الإنباء في طبقات الأطباء)الذي صنفه ابن أبي أصيبعة في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي الذي دخل أبواب التاريخ من أوسع أبوابه ،وجرى في ترجمته إلى الاعتماد على كتاب : سنن إسحاق ابن حنين (تاريخ الأطباء والحكماء) الذي يستحق أن نسميه رائد تاريخ الطب العربي في الإسلام.

ومن الجدير بالذكر والتوضيح أن المعرفة العصرية التي أحدثها ابن أبي أصيبعة لتراجم الأطباء يعد إسهاما متطوراً في تقدم الطب على أيديهم ، ومن جميل المصادر كتاب ياقوت الحموي (معجم الأدباء) الذي مزج ما بين الصورة الأدبية والطبية لبعض الأطباء العرب وهذا ما جاء في ثنايا البحث، وكتاب معجم أدباء الأطباء لـ (محمد الخليلي) الذي احتوى ترجمة للذين جمعوا فن الشعر إلى علم الطب حتى كادت الخاصيتين تبرز على الأخرى كابن سينا الذي كانت شهرته الطبية تغلب على شهرته الشعرية .

ومن المؤسف ذكره أن بعض تراجم الأطباء جاء مقتضباً ويكون بعض الشعر قليلاً ، فنقص المصادر من نتاج الأطباء العرب يرجع إلى ضياع قسم كبير منها نتيجة الحروب والسرقات والتشتت بين مكتبات العالم.

و يسلط هذا البحث الضوء على أثر البيمارستانات وأهميتها كمؤسسات طبية تعليمية ، وعليه تضمنت الدراسة ثلاثة محاور ، كان المحور الأول ـ لمحة تاريخية لأهمية البيمارستانات ، أما المحور الثاني ـ فتناولت فيه التعريف بأنواع البيمارستانات ، فيما استعرضت في المحور الثالث أشهر البايمارستانات في مدينة بغداد فضلاً عن أعلام الطب في العصر العباسي ، وخاتمة تضمنت أهم ما توصلت إليه الدراسة

المحور الأول: لمحة تاريخية لتأسيس البيمارستانات.

اولاً: معنى البيمارستان.

كلمة فارسية مكونة من مقطعين (بيمار) وتعني مريض و(ستان) وتعني دار بمعنى (دار المرضى) واختصر لفظهما فيما بعد الى مارستان وقد أطلقت التسمية فيما بعد لتشمل دور علاج المجانين والمرضى . (٤)

تعد من المراكز والمؤسسات الحكومية والخيرية القائمة بحد ذاتها كالمساجد والمدارس وخزائن الكتب وغيرها ويقوم بتشييدها الخلفاء والملوك والأمراء ،والوزراء وأصحاب الخير صدقة موقوفة يرجون برها من الله سبحانه وتعالى(٥).

اما فيما يخص نشأتها فتعود جذورها التاريخية وبشكلها البسيط الى عهد الرسول (ﷺ) باتخاذ خيمة في المسجد بالمدينة بعد اصابة الصحابي الجليل سعد بن معاذ[٦] يوم الخندق سنة (٥هـ/ ٦٢٧م) بسهم.

واتخذ أول بيمارستان كبناء مستقل من خلال بحثنا في المصادر التاريخية على يد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٨٦- ٩٦هـ) (٧٠٥-٧١٤م) وعمل على جلب الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا ويصاب بالعدوى الآخرين[٧].

وأثناء مدة حكم الدولة الحمدانية للموصل وحلب لم توضح المصادر التاريخية وجود بيمارستان قائم بذاته على الرغم من ذكر الرحالة ابن جبير[٨] عند زيارة الموصل سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) بان الموصل يحتوي على مارستان خاص بالمجانين.

لم تقتصر وظيفة البيمارستان على علاج المرضى بل شمل أيضاً تدريس علوم الطب بمختلف فروعه عن طريق الحلقات العلمية التي تنظم لدراسة مختلف الحالات المرضية فكان الطبيب يجلس مع معاونيه في صدر القاعة المخصصة للدرس والمجهزة بالكتب والآلات الطبية المختلفة ويجلس بين يديه صغار الأطباء(المبتدئين) بالطب لتجري مباحث طبية ويقرئ الطلاب ولا يزال معهم في مباحثات علمية قد تستغرق وقتا طويلا[٩].

أما الدروس التطبيقية فكان يقف فيها الطبيب الى جانب سرير المريض الذي يلتف من حوله الطلبة بصفوف بحسب قدمهم في الدورة الدراسية، ويبدأ المعلم باستجواب المريض عن جملة من شؤونه الحياتية كاسمه ومحل سكناه ومهنته وفيما إذا كان متزوجا ام لا، ثم يبدأ بسؤاله عن شكواه ومكانها ومدتها، ثم يلقي بنظرة على بوله وبرازه فإذا ما انتهى من ذلك ترك الأمر لطلبته المتقدمين لمناقشة حالة المريض وإبداء رأيهم في تشخيص مرضه وطريقة علاجه وإجراء اختبار لهم في ضوء الحالة المرضية المعالجة. [١٠]

ويعزز قول الدكتور (جوزيف جارلند) في كتابه قصة الطب «وقد أسس العرب عدداً من المستشفيات الممتازة، جعلوها مراكز لدراسة الطب لعلاج المرضى كأحدث المستشفيات، وقد

بلغ عدد هذه المستشفيات أربعة وثلاثين موزعة بين أنحاء الدولة ، و كان أهمها مستشفيات بغداد ودمشق وقرطبة والقاهرة». (١١)

المحور الثاني : أنواع البيمارستانات .

قد انقسمت البيمارستانات في الحضارة الإسلامية، على قسمين نوردها على النحو الآتي:-

أولاً: البيمارستانات المتنقلة:

وكانت عبارة عن خيام لعلاج المرضى تحمل وتنتقل من مكان إلى مكان حسب الظروف والأحوال، والأماكن المنتشرة فيها الأوبئة، وكانت هذه البيمارستانات المتنقلة، تجهز بما يلزم من الفرق الطبية، من أطباء ومعاونين وصيادلة، وبما يلزم العلاج من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس تنتقل من مقر إلى آخر وبخاصة في الأطراف النائية لخلوها من الأطباء، وحاجة الأهالي إليها، على نحو ما نرى الآن من أنواع القوافل الطبية في هذا العصر التي تجوب المناطق النائية والبعيدة وهي تقدم يد العون والمساعدة لمن يحتاج ذلك .

ومن أنواع البيمارستانات المتنقلة أيضاً البيمارستانات العسكرية، التي ترجع بداية ظهورها إلى عصر الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم –، حيث ذكر ابن إسحاق في السيرة النبوية لابن هشام «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامراة من أسلم، يقال لها «رفيدة» في مسجده؛ اذ أصيب يوم الخندق، فكانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على ضعة من كانت به ضيعة من المسلمين» (١٢) ، ثم انتشرت بعد ذلك هذه البيمارستانات العسكرية المتنقلة حتى أصبحت سمة تميز الجيوش الإسلامية في شتى أصقاع الأرض، بما تحويه من أدوية وأدوات طبية وأطباء ومشرفين وخدم، وأفضل وصف لتلك البيمارستانات العسكرية المتنقلة، هو ما كتبته الكاتبة الألمانية الشهيرة «سيجريد هونكه»(١٣) ، وهي تصف رحلة الطبيب والجراح البولوني المصاحب لإحدى الحملات الصليبية على مدينة «دمياط»، وما لاحظه من تفضيل بعض القادة الصليبيين وجنودهم العلاج لدي أعدائهم العرب في مستشفياتهم العسكرية المتنقلة، على الرغم من تحذير رجال

الكنيسة لهم، حيث كتب «إن هذه الكلمات لم تكن لتغير من موقفهم شيئاً، وظلوا يفضلون التداوي على أيدي أطباء الأعداء، ولم يكن هذا بأمر مشرف لرجل وطبيب قد بلغ من العمر ما بلغه «هوجو»، وفي خلال هذه السنوات الثلاثة توافرت له أكثر من مناسبة للتعرف على هؤلاء الجراحين المسلمين، الذين كثر فيهم المدح والذم في آن واحد، ورؤية عظمتهم وزيارة مستشفاهم العسكري، الذي كان يحمله إلى ساحة المعركة ثلاثون أو أربعون جملاً) . (١٤)

ثانياً:– البيمارستانات الثابتة:

عبارة عن أبنية ثابتة في جهة من الجهات، لا تنقل منها، وكان هذا النوع من البيمارستانات كثير الوجود في البلدان الإسلامية، حيث كان يشيدها الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء وأهل الخير عامة صدقة جارية وخدمة للإنسانية وتخليداً لذكرهم، ويذكر «المقريزي»، أن أول من بنى البيمارستانات الثابتة في الإسلام الخليفة الأموي «الوليد بن عبد الملك»، وذلك في سنة ٨٨هـ / ٧٠٧م، فقد جعل الوليد فيه الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأن يعزل المجذومين والعميان وأجرى لهم وعلى العميان الأرزاق. (١٥)

أقسام البيمارستان:

كانت البيمارستانات الكبيرة تنقسم على قسمين منفصلين، أحدهما للذكور وثانيهما للإناث، ويحتوي كل واحد منهما على عدة قاعات تخصص كل واحدة منها لأحد الأمراض، فقاعة للأمراض الباطنية، وقاعة للجرحى، وثالثة للرمد ورابعة للتجبير، كما عرفوا نظام العزل لأصحاب الأمراض المعدية، وخاصة الجذام، كما كان البيمارستان يحتوي على صيدلية، كانت تعرف بقاعة الشراب، وكانت هذه البيمارستانات تضم فئات من العاملين، أولهم رئيس الأطباء، ثم تضم الفراشين من الرجال والنساء والمشرفين.

ضوابط صناعة التطبيب

يصف لنا ابن أبي أصيبعة (١٦) طرق مزاولة مهنة الطب في أول عهد إنشاء البيمارستانات الإسلامية فيقول «إن الطب كان في أول عهده عن طريق الممارسة، ثم صار

دراسة وامتحاناً وأجازةً ، و كان الطبيب في أول عهد الدولة الإسلامية يكتفي لممارسة التطبيب بقراءة الطب على أي طبيب من النابهين في عصره، فإذا أنس من نفسه القدرة على مزاولة الصنعة بأشرها بدون قيد أو شرط». ، إلا أنه يرجع الفضل في تنظيم صناعة التطبيب وتقيدها بنظام خاص حرصاً على صحة المرضى، إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله «جعفر بن المعتضد» الذي تولي الخلافة سنة (٢٩٥هـ/ ٩٠٧ م)، حيث فرض على من يريد معاناة التطبيب تأدية امتحان للحصول على إجازة تخوله هذا الحق بين الناس، والسبب الذي دعا الخليفة المقتدر إلى هذا التقييد، هو ما يرويه سنان بن ثابت رئيس الأطباء في عصره، وطبيب الخليفة، ومن النابهين بين الأطباء، حيث يقول «لما كان في عام (٣١٩ هـ/٩٣١ م)، اتصل بالمقتدر أن غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل، فأمر الخليفة أبا إبراهيم بن محمد بن أبي بطيحة المحتسب بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من أمتحنه سنان بن ثابت بن قرة، وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة فصاروا إلى سنان وامتحنهم، وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمان مئة رجل ونيف وستين رجلاً سوى من استغنى عن مهنته باشتهاره بالتقدم في صناعته، ومن كان في خدمة السلطان».[١٧] وصار النظام بعد ذلك على هذا الطريق، متي أتم الطالب دروسه يتقدم إلى رئيس الأطباء الذي يطلب إليه إجازته، لمعاناة صنعة التطبيب، وكان الطالب يتقدم إليه برسالة في الفن الذي يريد الحصول على الإجازة في معاناته، وهذه الرسالة أشبه بما يسمى اليوم «أطروحة»، وتكون هذه الرسالة له أو لأحد مشاهير الأطباء المتقدمين أو المعاصرين، يكون قد أجاد دراستها فيمتحنه فيها ويسأله في كل ما يتعلق بما فيها من الفن، فإذا أحسن الإجابة أجازه الممتحن بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة، كما كان المحتسب، أن يأخذ عليهم عهدً ابقراط الذي أخذه على سائر الأطباء ، ويحلفهم إلا يعطوا أحداً دواءً مرًّا ولا يركبوا له سماً، ولا يصفوا التمائم عند أحد من العامة، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة، ولا

للرجال الدواء الذي يقطع النسل، وليغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى، ولا يفشوا الأسرار ولا يهتكوا الأستار، وينبغي للطبيب أن يكون عنده جميع آلات الطب على الكمال، مما يحتاج إليه في صناعة الطب».

عمارة البيمارستانات:

لقد تطورت عمارة البيمارستانات خلال عصور الحضارة الإسلامية، حيث كان لها نظام وطابع معماري مميز، يقوم على مجموعة من الشروط الضرورية التي يجب أن تتوافر في المكان الذي يبني فيه البيمارستان، ويمكن أن نلخص هذه الشروط فيما يلي:

١-اختيار الموقع:

ان اختيار الموقع الذي يبنى فيه البيمارستان كان من الأمور الضرورية التي أولاها العرب اهتماماً كبيراً،و يجب أن تتوافر في المكان الذي يبنى فيه البيمارستان الهواء الصحي، ولقد ورد أن الرازي عندما أراد اختيار موقع للبيمارستان العضدي، وضع قطعاً من اللحم في أماكن مختلفة من بغداد، واختار الموقع الذي بقيت فيه قطعة اللحم سليمة أكثر من غيرها في المواقع الأخرى»، ونفس القصة تكررت عند إنشاء البيمارستان النوري في «حلب»، حيث أحضروا خروفاً وقطعوه أربعة أرباع، وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً، فلما أصبحوا وجدوا أحسنها رائحة الذي كان في هذا القطر فبنوا البيمارستان فيه» .[١٨]

٢- مصدر المياه:

لقد حرص العرب على أن يكون البيمارستان قريباً من الأنهار ومنابع الحياة، وذلك راجع إلى حرصهم الشديد على إيصال الماء الجاري إلى بيمارستاناتهم ، والأمثلة على ذلك كثيرة، فالمستشفي العضدي، كان الماء يدخل إليه من دجله، والمستشفي النوري بـ«حلب» كان به بركتا ماء يأتي إليهما الماء الحلو من قناة «حبلان»، وأيضاً بيمارستان غرناطة له باحة داخلية وسطها حوض عميق لدخول الماء من عينيين، كل عين عبارة عن أسد جاث، بل في بعض الأحيان حرص العرب على إيصال المياه إلى جميع عنابر المرضى، كما

كان الحال في بيمارستان مراكش، حيث أجريت فيه مياه كثيرة تدور على جميع العنابر، زيادة على أربع برك في وسط إحداها رخام أبيض»(١٠).

٣- مخطط البيمارستان:

كان لكل بيمارستان مخطط يحتوي على:

١- أقسام خاصة بالرجال، وأخري خاصة بالنساء منفصلة عن الأولى.

٢- قاعات للمرضى حسب التخصصات، فهناك قاعات أو عنابر مخصصة للمرضى المصابين بالحمى، والأخرى للأمراض العقلية والنفسية، وغيرها لمرضى الرمد وهكذا.

٣- عنابر خاصة للناقهين من المرضى إلى أن يتم شفاؤهم، يحكي لهم فيها الحكايات المسلية.

٤- غرف للأطباء وبقية الإداريين.

٥- غرف للأطباء للكشف على المرضى غير المنومين «عيادات خارجية بلغة العصر».

٦- قاعة محاضرات يلقي فيها رئيس الأطباء دروسه ويجتمع فيها مع تلاميذه.

٧- مكتبة تضم الكتب والمعارف الطبية.

٨- مطبخ لطبخ الأغذية الصحية، حيث كان الغذاء أحد طرق العلاج الرئيسة، وكذلك لتجهيز الأشربة وغيرها من المواد العلاجية.

٩- صيدلية لتحضير الأدوية.

١٠- مخازن.

١١- قاعة لغسل الموتى.

١٢- مصلى مسجد.

١٣- مراحيض وحمامات.

فضلاً عن الباحات والأفنية والحدائق التي تحتوي على الأشجار والشمومات والمأكولات، والكثير من هذه البيمارستانات، كانت تحتوي على سكن للعاملين فيها».

٤ – تأثيث البيمارستان:

عندما تنتهي عمارة البيمارستان يقوم ناظره بتأثيثه بما يحتاج إليه لإيواء المرضى ومعالجتهم، والعناية بهم، وقد يختلف الأثاث من بيمارستان لأخر من حيث الفخامة، ولكنها اتفقت جميعها على «توفير سرير بكامل تجهيزاته لكل مريض، فضلاً عن الأدوات الطبية اللازمة لكل تخصص، وأدوات العقاقير وتحضير الأغذية للمرضى المنومين، فهذا الرحالة الأندلسي ابن جبير يصف البيمارستان الصلاحي البيمارستان العتيق في القاهرة بقوله «ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسي». (١٩)

المحور الثالث : أشهر البيمارستانات في مدينة بغداد وأعلام الطب في العصر العباسي

يوجد في بغداد العديد من البيمارستانات الهامة والشهيرة التي أدت دوراً بارزاً في مسيرة الحياة الطبية الإسلامية، ويأتي في مقدمة هذه البيمارستانات:–

١– بيمارستان بغداد الشهير الذي بناه هارون الرشيد وأسماه بيمارستان الرشيد، وتولى إدارته الطبيب ماسويه الخوزي، الذي انتدبه الرشيد لذلك العمل من جند يسابور، وتولى مراقبته جبرائيل بن بختيشوع .

٢– بيمارستان، أبي الحسن علي بن عيسى الجراح، وبيمارستان بدرغلام المعتضد بالله، أنشأه من ماله الخاص.

٣– بيمارستان علي بن عيسى أنشأه من ماله الخاص،

٤–بيمارستان السيدة أم المقتدر التي توفت في سنة (٣٢١هـ/ ٩٣٢)، وقد تولي رعايته الطبيب سعيد بن سنان بن ثابت.

٥– البيمارستان المقتدري والذي أشار ببنائه على يد الخليفة المقتدر بالله سنان بن ثابت بن قرة، والذي أشار على الملك المقتدر ببناء مستشفى للمرضى وتسمى بإسمه، ومن

الأطباء الذين عملوا فيه جبرائيل بن بختيشوع، ويوسف أبي الحسن بحكم الذي توفي سنة (٣٢٩ هـ/٩٤٠ م).

٥–البيمارستان العضدي، أنشأه عضد الدولة البويهي سنة(٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، وعين فيه جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع.

ثانياً:– أعلام الطب في العصر العباسي الأول .

برز عديد من الأطباء الذين كانت لهم اسهامات في مجال الطب والعمل في البيمارستانات في بغداد منهم :–

ـ جورجيوس بن جبرائيل.

رئيس أطباء جنديسابور، وقد استقدمه الخليفة أبو جعفر المنصور الى بغداد سنة (١٤٨ هـ / ٧٦٥ م) ، عندما أصابه مرض في معتدته وعجز الأطباء عن علاجها، فلما قدم شخص مرضه ووصف له مرضه، وعُرض عليه الإسلام إلا انه رفض وقال: إني على دين أبائي أموت)، توفي سنة (١٥٢ هـ / ٧٦٩م) .

أهم مؤلفاته :ـ

كتاب الكناش، الذي نقله حنين بن إسحاق من السريانية إلى العربية وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة . [٢٠]

ـ بختشيوع بن جورجيوس:

ابن بخنيشوع النيسابوي كان نصرانيا في أبي العباس السفاح وصحبه وعالجه كان جليلاً في صناعة الطب موقراً في بغداد لعمله، كان معرفاً ومشهوراً عند الملوك خدم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم ، من مؤلفاته:– كتاب التذكرة [٢١]

ـ ماسويه الخوري:

يعمل في دق الأدوية في بيمارستان جنديسابور، حيث كان لا يقرأ ولا يكتب حرفاً واحداً بلسان من الألسنة، إلا انه عرف الأمراض وعلاجها وانواع الادوية ، فأخذه جبريل بن بختيشوع وأحسن اليه ، توفي في خلافة المأمون (١٩٨ هـ/ ٨٣٠م).

ـ ميخائيل بن ماسوية مخائيل أخو يوحنا، كان يمارس الطب على الطريقة اليونانية عاش زمن المأمون وخدمه، وكان الخليفة المأمون لا يشرب دواء الا من تركيبه، وقد أكرمه غاية التكريم والمرضى في مدينة بغداد يجلونه تبجيلاً، لم يكونوا يظهرونه لغيره. (٢٢)

ـ زكريا الطيفوري :

الطبيب الثاني من أسرة الطيفوري خدم الخليفة العباسي المعتصم ورافق حملة الأفشين لمحاربة بابك الخرمي.

ـ إسرائيل بن زكريا الطيفوري :

هو حفيد عبد الله الطيفوري، خدم الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل ونادمه ثم التحق بحاشية الخليفة بتوصية من ابن خاقان، وصارت له منزلة مرموقة وممن لا يستغني عن طبهم للخليفة . (٢٣)

- أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون:

الطبيب البغدادي نصراني من أهل العراق قرأ على علماء عصره من نصارى الكرخ عالم في صناعة الطب كثير الأسفار خرج من بغداد إلى الجزيرة والموصل وديار بكر ودخل حلب وأقام بها مدة وخرج إلى مصر فسئم من كثرة الأسفار فنزل بعض الأديرة فسكن دير إنطاكية وترهب وانقطع إلى العبادة إلى أن توفي بها سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م(٢٤).

استمرت الحركة الطبية ولم تضمر آو تنقطع مستدلين بهذا على ما ذكرته المصادر من أطباء مهتمين بالطب ومنهم :

- **أبو جعفر، احمد بن محمد بن أبي الأشعث:**

كان وافر العقل سديد الرأي متفقها في الدين وفاضلا في علوم الحكمة متميزا فيها وكان عالماً بكتب جالينوس[٢٥] خبيراً بها متطلعاً على أسرارها وقد شرح كثيراً من كتب جالينوس وعمل على فصل كل واحد من الكتب الستة عشرة إلى جمل وأبواب وفصول وقسمها تقسيما لم يسبقه إلى ذلك احد غيره.

وذكر انه كان لناصر الدولة الحمداني ولد عليل عجز الأطباء عن شفائه فعالجه ابن الأشعث فتحسنت حالته وبريء وصارت له عند الأمير مكانة وذاع صيته.

ودرس على يده عدد من التلاميذ أبرزهم: ابو الفلاح و أحمد بن محمد البلداوي و محمد بن ثواب الموصلي و أحمد بن الحسين بن زياد بن فضالة البلدي[٢٦].

عيسى الرقي :

أصله من الجزيرة كان من أطباء سيف الدولة الحمداني المقربين ويأخذ ثلاثة أرزاق لعلمه بعلم الترجمة للنقل من السرياني إلى العربية ورزقين آخرين بسب علمين آخرين.

وكان مليح الطريقة وله كتب في المذهب وغيرهما وإرشادات وتوجيهات إلى بعض الأطباء[٢٧].

يوانيس:

طبيب عالم بارع في صناعة الطب معروف بالفضل والإتقان عاش في بلاد الحمدانيين وعمل على علاج سعد الدولة من القولنج الذي أصيب فيه لم نستدل على تاريخ ولادته ووفاته[٢٨].

الخاتمة

يمكن للباحث – بكل تواضع – أن يضع في نقاط أهم ما في البحث :

١- تعود الجذور التأريخية لنشوء البيمارستانات بشكلها البسيط إلى عهد الرسول (ﷺ) باتخاذ خيمة في المسجد بالمدينة بعد إصابة الصحابي الجليل سعد بن معاذ[٢٩] يوم الخندق سنة (٥هـ/ ٦٢٧م) بسهم.

٢-لقد ساهم علماء العرب المسلمين في رفد الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الطبية خلال العصر الذهبي للمعارف الإسلامية الذي امتد من القرن الثالث الهجري حتى القرن السادس الهجري، متأثراً بالثقافة الإسلامية التي امتلكها الخلفاء والأمراء.

٣- تمكن العرب من إقامة مؤسسات تعليمية لممارسة الطب في الفترة التي افتقر أليها المسلمين البيمارستان والتي تعرف بالوقت الحاضر (المستشفيات) والذين بذلوا الجهد بارعا في هذا المضمار وجاءت انعكاساتهم في الأفكار الغربية كما في الحضارة اليونانية وغيرها .

٤-أن الاتجاه إلى علم الطب والصحة العامة امر لازم المجتمع الإسلامي ودعا إليه الإسلام امتثالا إلى ما جاء بذكر الله العظيم وقوله تعالى(وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ) فالقران هو الشفاء التام لجميع الأمراض العقلية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة.[٣٠]

٥- أسس الأطباء العرب البيمارستانات المتنقلة التي هي عبارة عن خيام مؤقتة تنصب الأماكن المقصودة وتجهز بالمعدات اللازمة للطبابة فضلا عن عديد من الأطباء فضلاً عن البيمارستانات الثابتة .

٦- قسم العرب البيمارستانات على قسمين قسم للذكور وآخر للاناث وعرفوا نظام العزل للأمراض المعدية كالجذام وكانت الصيدلية تعرف بقاعة الشراب ويرأس الفريق الطبي طبيب عرف بكبير الأطباء.

٧–كان في أول عهده عن طريق الممارسة، ثم صار دراسة وامتحاناً وأجازه، حيث كان الطبيب في أول عهد الدولة الإسلامية يكتفي لممارسة التطبيب بقراءة الطب على أي طبيب من النابهين في عصره، فإذا أنس من نفسه القدرة على مزاولة الصنعة باشرها بدون قيد أو شرط .

٨–تطورت عمارة البيمارستانات خلال عصور الحضارة الإسلامية، حيث كان لها نظام وطابع معماري مميز، يقوم على مجموعة من الشروط الضرورية التي يجب أن تتوافر في المكان الذي يبني فيه البيمارستان .

٩–أنشأ خلفاء بني العباس كالرشيد والمعتضد بالله و المقتدر بالله البيمارستانات للعناية بصحة الناس .

١٠–مارس الأطباء العرب صنوفاً من الطب واشتهر العديد منهم في بغداد والعالم الاسلامي

المصادر و المراجع

- **القرآن الكريم**

١- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٨٨هـ/١٢٦٩م).

. عيون الأبناء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٦٥).

٢- ابن جبير، أبو الحسن عبد بن احمد بن جبير الأندلسي البلنسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م).

٣- رحلة ابن جبير، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٤).

٤- ابن جلجل، أبي داود سليمان الأندلسي(ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م).

طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، المعهد العلمي للآثار الشرقية، (القاهرة، ١٩٥٥).

٥- ابن هشام ، أبو محمد، جمال الدين ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري

٦- (ت ٢١٣هـ/ م) ، السيرة النبوية، ج٣ مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي ، ط الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م .

٧- الخليلي، محمد، معجم أدباء الأطباء، الغري،(النجف،١٩٤٦).

٨- ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق، عبد الغني عبد الخالق،.

٩- الدباغ، فخري ، الأطباء الأدباء ،دار الشؤون الثقافية،(بغداد ،١٩٩٠).

١٠- الدميري ،كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥)،حياة الحيوان الكبرى،دار الفكر،(بيروت،٢٠٠١)، ج٢.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م). سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٤).

١١- الرازي، الصحاح.

١٢- الزوزني، فضل الله بن عبد الحميد المتوفى بعد(٧٠١هـ /١٣١٠)،مختصر الزوزني المسمى (المنتخبات الملتقطات من إخبار العلماء بأخبار الحكماء، باعتناء: ليبرت ليسبك، مؤسسة الخانجي،(مصر،لا.ت).

١٣- السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية للطباعة،(بغداد، ١٩٨٠)،

١٤- سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب، ، ترجمة فاروق بيضون، وكمال الدسوقي، دار الجيل ،بيروت عام ١٩٩٣.

١٥- الطنطاوي، محمود السعيد ، سلسلة دراسات في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد ١٨٣.

١٦- عامر، النجار، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف مصر، عام ١٩٨٧.

١٧- عبد الرحمن ، أحمد عوض، لأوقاف والحضارة الطبية الإسلامية ، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٣٦.

١٨- عيسى أحمد بك تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي،1981 .

١٩- القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٥.

٢٠- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ- ١٤٤١م).
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(الخطط المقريزية)، مكتبة المثنى (بغداد، د. ت).

٢١- نصار، حسين ، المستشفيات الإسلامية في العاصمة المصرية، مجلة الهلال، عدد يونيه عام ٢٠٠٩ميلادية.

الهوامش:

(١) الدباغ، فخري ، الاطباء الادباء ،دار الشؤون الثقافية،(بغداد ،١٩٩٠)،ص٥ – ٩ .

(٢) الخليلي، محمد، معجم أدباء الاطباء،الغري،(النجف،١٩٤٦)، ص٥ .

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٤) ينظر : ابن جلجل، أبي داود سليمان الأندلسي(ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، المعهد العلمي للآثار الشرقية، (القاهرة، ١٩٥٥)، ص٧٨.

(٥) الرازي، الصحاح، ص٦٢١.

(٦) سعد بن معاذ بن امرئ القيس الأنصاري صحابي من الأبطال من أهل المدينة، أسلم على يد مصعب بن عمير عندما أرسله إلى المدينة يعلم الناس حمل لواء يوم بدر توفي في معركة الخندق سنة (٥هـ /٦٢٦ م)ودفن بالبقيع. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٤٤٢؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٤)،. ج١، ص٢٧٩.

(٧)المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ– ١٤٤١م).

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، مكتبة المثنى (بغداد، د. ت)، ج٢، ص٤٠٥.

(٨)ابن جبير، أبو الحسن عبد بن أحمد الأندلسي البلنسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٤)، ص٢١٠– ٢١١.

(٩) السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية للطباعة،(بغداد، ١٩٨٠)، ج١، ص٤٠٩– ٤١٠.

(١٠) السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، ص٤١٢.

(١١) الطنطاوي، محمود السعيد ، سلسلة دراسات في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد ١٨٣، ص ٥٥٨.

(١٢) عبد الرحمن ، أحمد عوض، الأوقاف والحضارة الطبية الإسلامية ، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٣٦، ص ٤٥.

(١٣) ابن هشام ، أبو محمد، جمال الدين ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت ٢١٣هـ/ م) ، السيرة النبوية، ج٣ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م ، ص ١٥٧.

(١٤) سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب، ، ترجمة فاروق بيضون، وكمال الدسوقي، دار الجيل ،بيروت عام ١٩٩٣، ص ٣٠٠ .

(١٥) نصار، حسين ، المستشفيات الإسلامية في العاصمة المصرية، مجلة الهلال، عدد يونيه عام ٢٠٠٩ميلادية، ص 71.

(١٦) ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم (ت ٦٨٨هـ/١٢٦٩م)،عيون الأبناء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٦٥)، ص٣٤.

(١٧) عامر ، النجار، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف مصر، عام ١٩٨٧ ص ٨٨، ٨٩.

(١٨) عيسى أحمد بك تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي،1981 ، ص ٢٢٤.

(١٩) عبد الرحمن ، لأوقاف والحضارة الطبية الإسلامية ،ص ٧٠.

(٢٠)ابن جلجل، أبي داود سليمان حسان الأندلسي، (ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، المعهد العلمي للآثار الشرقية، (القاهرة، ١٩٥٥) ،ص٦٤.

(٢١) القفطي، اخبار العلماء باخبار الحكماء، تحقيق: ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٥، ،ص٦٤.

(٢٢) القفطي، المصدر نفسه ،ص٢٤٥.

(٢٣) القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء،ص١٤٦.

(٢٤) الزوزني، فضل الله بن عبد الحميد المتوفى بعد(٧٠١هـ /١٣١٠)،مختصر الزوزني المسمى (المنتخبات الملتقطات من أخبار العلماء بأخبار الحكماء، باعتناء: ليبرت ليسبك، مؤسسة الخانجي،(مصر،لا.ت)،ص٤٠٢.

(٢٥) الحكيم الفيلسوف اليوناني من أهل مدينة "فرغا موس" من أرض اليونان إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته مؤلف الكتب الجليلة في صناعته طاف البلاد وجالها وتنقل من مدينة إلى أخرى وأخذ العديد من العلماء من علمه وخاصة العرب و ترجموا له. من أهم مصنفاته: اختصار التشريح من كلام جالينوس شرح كتاب الفصول لا بقراط، كلام جالينوس في الامراض الحادة كتاب بينكس وهو الفهرست للكتب التي وضعها. ينظر: الدميري ،كمال الدين ابو البقاء محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥)،حياة الحيوان الكبرى،دار الفكر، (بيروت،٢٠٠١)، ج٢، ص١٧،

(٢٦) ينظر: ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٨٨هـ/١٢٦٩م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق :نزار رضا، دار مكتبة الحياة ،(بيروت ،١٩٦٥)ج١، ص٢٣١.

(٢٧) القفطي ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص٢٥٠.

(٢٨) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٩.

(٢٩) سعد بن معاذ بن امرئ القيس الأنصاري صحابي من الأبطال من أهل المدينة، أسلم على يد مصعب بن عمير عندما أرسله إلى المدينة يعلم الناس حمل لواء يوم بدر توفي في معركة الخندق سنة (٥هـ /٦٢٦ م)ودفن بالبقيع. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٤٤٢؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناءوط ومحمد نعيم، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٤). ، ج١، ص٢٧٩.